حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الثالث ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٤هـ / تموز ـ ٢٠١٣م

٣

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مسجد الكوفة المعظم سنة ١٩٣٥م يظهر فيها محراب أمير المؤمنين وبقية المحاريب المقدسة للأنبياء والصالحين

شعر رثاء الصحابي ميثم التمّار رضوان الله عليه
دراسة فنيّة موضوعيّة

الدكتور حسين لفتة حافظ(*)
مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة.

المقدمة

عرف العرب منذ زمانهم القديم فن الرثاء، وكان لهذا الفن الشعري قيمة أدبية عالية، بالإضافة لقيمته الاجتماعية، واشتهر عبر تاريخنا العربي شعراء كبار استطاعوا أن يخلدوا أسماءَهم عبر هذا اللون الشعري، وتعتبر «الخنساء» التي رثت أخاها «صخراً» أنموذجاً لقيمة هذا اللون الشعري في تخليد الشخص الذي يكون أهلاً له، ومع تطور المجتمعات، استطاع فن الرثاء أن يتناغم مع هذا التطور، ويكوّن حالةً تتمتع بخصوصية يفرضها المجتمع الذي تكون فيه، وتعددت أبوابه تبعاً للصفة الغالبة في الشخص الذي يرثى، و«الرقة» بهذا الخصوص، تتميز بالخصوصية في هذا الفن، الذي يحاكي مشاعر إنسانية غاية في العمق.

اما في العصر الحديث فقد اخذ هذا الفن بعدا آخر خاصة بعد أن اتجه به بعض الشعراء نحو رثاء مجموعة خاصة من الناس يعرفون بأولياء الله الصالحين ومنهم الصحابي الجليل ميثم التمار(رضي الله عنه)، ومن الشعراء الذين كتبوا قصائد تناولت رثاءه اذكر الشاعر هادي كاشف الغطاء رحمه الله والشاعر علي الجشي والشاعر مهند الموسوي، فقد كانت قصائدهم مليئة بصور الحزن على الشهيد الذي ضحى بنفسه دفاعا عن مبادئ وقيم الدين ودفع حياته في سبيل أهل البيت(عليهم السلام) فقد كان من اشد الموالين للإمام علي(عليه السلام).

اما عن خطة البحث فهي تتناول دراسة هذه القصائد دراسة فنية موضوعية حتى نقف على المضامين العالية التي اشتملت عليها الأشعار التي قيلت في رثاء أصحاب وموالي أهل البيت(عليهم السلام) ومنهم الصحابي ميثم التمار(رضي الله عنه)، ومن محاور هذا البحث محور اللغة الشعرية ومحور الصورة الفنية، ومحور القضايا الموضوعية ومنها القيم الخلقية التي أشتمل عليها رثاء الصحابي الجليل، كقيمة التضحية والشجاعة والكرم والنخوة والمروءة.

اما عن مصادر الدراسة فقد تنوعت لتشمل كتب الأدب والتاريخ والنقد الأدبي، وأخيرا الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على النبي الأمين وال بيته الطاهرين.

دور الرثاء في تخليد مآسي أهل البيت(عليهم السلام):

الرِّثاء لُغةً البُكاءُ على المَيِّت ومَدحُهُ، يُقالُ: رَثَى فُلانٌ فُلاناً يَرثيه رَثياً ومَرثيةً، إذا بَكاه بَعدَ مَوته. فَإن مَدَحَهُ بَعدَ مَوته قيل: رَثّاه يُرَثّيه ترثيةً. ورَثَيتُ الميّت رثياً ورِثاءً ومرثاةً ومَرثيةً، ورثيته: مدحته بعد الموت وبكيته. ورَثَوتُ الميّتَ أيضاً، إذا بكيته وعَدَّدت مَحاسنَه، وكذلك إذا نَظَمت فيه شعراً، و رَثأت الرجلَ رثاءً بالهمزة لغة، بمعنى رَثَيتُ ورَثَوتُ) http: //www. diwanalarab. com/spip. php?article٢٣٤٧٤ - nb١(١).

وأمّا معناه في الاصطلاح، فيقول قدامة بن جعفر: ليس بين المَراثي والنّعت فرقٌ إلّا أن يذكرفي اللفظ ما يَدلّ على أنّه لهالك مثلُ «كَانَ وتولَّى وقَضَى وما أشبه ذلك»، وهذا ليس يَزيدُ في المعنى ولا ينقص منه. وقد يُسلَكُ في التأبين مَسلَكٌ آخَرُ يَدلُّ على الرِّثاء، كَأن يُقال: ذهب الجودُ، أومَن للجود بعده؟ وما أشبه ذلك http: //www. diwanalarab. com/spip. php?article٢٣٤٧٤ - nb٢(٢).

لقد سلك الشعراء في رثاء أهل البيت مسلك الالتزام الخلقي، وهو شكل من أشكال الصدق في التعبير عن النفس وما يعتمل فيها، والفكر وما يتفاعل فيه، والخيال وما يضطرم به والروح وما ينبث عنها كلها أمور خاصة قد تميز أديبا عن آخر، والأدب – كسائر الفنون – تعبير عن قيم حية ينفعل بها

(١) ينظر لسان العرب ج ٥: ١٢٢
(٢) ينظر نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٥٩

ضمير الفنان هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس، ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون وبين بعض الإنسان وبعض[1].

ويلاحظ الدارس لهذا النوع من الأدب أن شاعر أهل البيت(عليهم السلام) كان يشارك الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك، إلى حد إنكار الذات في سبيل معتقده والفكر الذي يتبناه خاصة وانه يعرف جيدا انه يريد السير في طريق أهل البيت وان هذا الطريق يحتاج إلى تضحيات تتناسب والمكانة التي سار عليها أهل البيت لان مثل هذا الالتزام يقوم على الموقف الذي يتخذه الأديب وهو يقتضي منه الصراحة والوضوح والصدق والإخلاص والاستعداد للمحافظة على التزامه.

والشاعر وإن كان في لَحظَة مُؤلمة وجد نفسَه بحاجة إلى أن يَتَنفّس عن زفراتها، وفي حَالَة حَرجَة تستدعي منه الانطلاق وراء الشُّعور والإحساس والعاطفة مهما بَعُد مَداها، إلاّ أنَّه لم يَنسَ الظُروف التي عاشَ فيها.

ممّا لاشكّ فيه أنّ الرَّثاءَ الحَسَن ما كان منبعثاً من القلب الدّامي ومن العاطفة الصادقة، واستطاع الرّاثي أن يُصوّر أحزانَه ويَتنفّس عمّا يُحسُ في الصَدر من آلامه، ويُجَسِّد المصيبة كما هو يلمسه، ويضع المَرثيَّ مكانَه اللائق به، ويُشركهم الحُزن، ويُسيطرُ على عواطفهم وأحاسيسهم. ذَكر النُّقادُ أنَّه أفضل المراثي ما خُلطَ فيه المدحَ بالتّفَجُّع على الموتى، فإذا وقع ذلك بكلام صحيح، ولهجة مُعربة، فهو الغاية من كلام المَخلوقين خاصة إذا عرفنا فداحة الماسي التي مر بها أهل البيت ومن والهم فقد ورد في كتاب الكوثر: «تعرّض الشيعة مراراً لظلم الخلفاء الأمويين والعباسيين. فقد قام عبيد الله بن زياد - أحد ولاة يزيد منذ بدء تسلّطه على الكوفة، وإقدامه على قتل مسلم بن عقيل حتى آخر يوم من حياته - بسجن وتعذيب أو قتل اثني عشر ألفاً من الشيعة على الأقل بجرم حب الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) وذلك في زنزانات مظلمة. وكان يأمر بالتمثيل بالشيعة وبقطع لسان كل مَن يجده مصراً على حب الإمام علي(عليه السلام)، حيث حصلت هذه الجريمة مع ميثم التمار، الصحابي الوفيّ لأهل البيت(عليهم السلام)»[2].

ومن هنا تهدف هذه الدراسة إلى تقديم صورة عن شعر الرثاء في العصر الحديث من خلال نماذج من هذا الشعر والكشف عن ألوانه المختلفة، فضلا عن الحديث عن الموضوعات والمضامين المختلفة التي تناولها ذلك الغرض الشعري بألوانه المختلفة، إذ إنه من المعلوم أن ألوان شعر الرثاء متفاوتة في مضامينها، فشعر رثاء الأبناء والآباء غير رثاء الأقرباء الآخرين، ورثاء الأصدقاء ورفاق الدرب غير رثاء الملوك والسلاطين وسائر الأعيان، ورثاء المرأة غير رثاء الرجل، وهكذا وبتفاوت هذه الألوان ومضامينها يتفاوت الصدق الشعوري والسمو الفني، وبيان نظرة أولئك الشعراء إلى الموت والحياة، الوقوف على السمات الفنية لذلك الغرض، وبيان ما فيها من تقليد، وما طرأ عليه من تطور وتجديد.

المبحث الأول

الدراسة الموضوعية

ركّز الشعراء الذين رثوا الصحابي ميثم التمار(رضي الله عنه) على حادثة مشهورة ذكرتها كتب الروايات والأخبار، وهي حادثة إخبار الإمام علي(عليه السلام) لميثم بما سيؤول إليه مصيره على يد ناس ظلمة أشقياء[3]، نحو قول الشاعر هادي كاشف الغطاء:

كَم للحَبيب موقفٌ حبيبُ
للّه نشرُ ذكره يطيبُ
قد نَصَرَ السبطَ لساناً وَيدا
مُستَعذباً مُرّ الحتوف موردا
كان خَبيراً بمصير الأمر
وما عليه من قضاءٍ يجري
وبينَه وَبَينَ مَيثَمٍ جَرى
ما بمزيد علمه قد أشعرا
ممّن عليه عَرَضوا الأمانا
والمالَ جمعاً فأبى إيمانا

(١) ينظر الالتزام في الأدب الإسلامي، محمد بركة، موقع نوافذ.

(٢) الكوثر ج ـ١ - (ج ١ / ص ٣٦٩) الإمام الخميني.

(٣) ورد في شرح نهج البلاغة: «وقد كان قد أطلعه علي(عليه السلام) على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة، وينسبون علياً(عليه السلام) في ذلك إلى المخرفة والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه، وفيهم الشاك والمخلص: يا ميثم، إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً، حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة يقضى عليك، فانتظر ذلك. والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهرة - يعني الأرض - ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها، ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين، وكان ميثم يأتيها، فيصلي عندها، ويقول: بوركت من نخلة لك خلقت، ولي نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي(عليه السلام)، حتى قطعت، فكان يرصد جذعها، ويتعاهده ويتردد إليه، ويبصره». ينظر شرح نهج البلاغة ٤: ١٣٤.

وقاتَـــلَ القـــومَ قتـــالاً بـــاهرا
وقاتـــلَ الجيـــوشَ والعـــساكرا
مـــستقبلاً رمـــاحهُم بـــصدرهِ
وبيـــضهُم بوجهـــهِ ونَحـــرهِ
عنـدَ الرسـول قـالَ لـسنا نُعـذَرُ
إن قُتـل الـسبطُ ونَحـنُ نَنظِـرُ
أنعَـمَ عـينَ مُـسلمٍ بِفعلـهِ
وجـادَ فـي نـصرِ الهـدى بقَتلـهِ
وكـانَ مَـسروراً بـه مُستَبـشراً
مـستَيقناً خيـرَ جـزاءٍ ذُخـرا[1]

لقد حشّد الشاعر جملة من الصفات الحميدة التي تعود للمرثي، وهي صفات تعكس القيم المثلى والنبيلة ومنها على سبيل المثال «قد نصر السبط» وقوله «مستعذبا مر الحتوف» قاتل القوم قتالا باهرا «انعم عين مسلم بفعله»، ونلاحظ أن طابع الحزن في هذه القصيدة ليس قويا ربما يعود السبب في ذلك إلى تيقن الشاعر من أن المرثي نال الشهادة كونه قتل في سبيل الله ونصرة دين نبيه الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم).

أما الشاعر علي الجشي[2] فقد ضمن إشارات تراثية كثيرة تناولت صفات المرثي وعلاقته بأمير المؤمنين في قوله:

هـــذا كتـــاب معتبـــر
أمعِـــن أخـــا الفهـــم النظـــر
ذا درّة العلـــــم فـــــذر
ســـواه يـــا مـــن اتّجـــر
نهـــج البلاغـــة الأغـــر
مـــا ضـــلّ فيـــه مـــن ســـفر
فكـــل معنـــىً مبتكـــر
فـــي طيّـــه قـــد انتـــشر
حـــوى علـــوم مـــن غبـــر
بـــل كـــل ســـرٍّ اســـتتر
إن شـــئت حرثـــاً فمطـــر
لكـــن لكـــلٍّ بقـــدر
أو شـــئت اكـــسير الفكـــر
فهـــو إلـــى الحجـــر حجـــر
صـــنع مليـــكٍ مقتـــدر
جـــل الـــذي لـــه فطـــر
خليـــل أحمـــد النـــذر
أبـــي الأئمـــة الخيـــر
عـــلاّم أســـرار القـــدر
بـــل عـــن يديـــه قـــد صـــدر
عليـــك شـــرح ذي الخطـــر
ميـــثم غـــواص الـــدرر
قـــد اقتفـــى المـــولى الأبـــر
واقـــتصّ آثـــار الأثـــر
أطاعـــه فيمـــا أمـــر
فكـــان ســـمعاً وبـــصر
أحلّـــه أســـنى مقـــر
جنـــات عـــدن ونهـــر
انظـــر إلـــى مـــا قـــدر بـــدر
تجـــد بـــه أزكـــى ثمـــر

لقد استهل الشاعر قصيدته بالإخبار عن حادثة استشهاد الصحابي ميثم التمار بطريقة السرد القصصي، ويبدو أن هدف الشاعر من وراء ذلك هو لفت انتباه المتلقي والتأثير فيه وإبقائه متيقظا لسماع كامل الخبر، والشاعر استطاع أن يزاوج بين شخصية الإمام علي(عليه السلام) وشخصية ميثم التمار وان هذه الصفات ما هي إلا بعض من صفات الإمام علي(عليه السلام).

اما الشاعر مهند الموسوي فقد ركز على مسالة كون ميثم التمار خازن أسرار الإمام علي(عليه السلام) في قوله:

أنـــت النجـــي لحيـــدر دون الـــورى
أنـــت الأمـــين وخـــازن الأســـرار[3]

نلاحظ تأكيد الشاعر على هذه الصفة وهي صفة استحقها ميثم التمار بجدارة فقد كان أهلا لان يكون أمين الإمام وخازن أسراره.

(١) الأبيات في الديوان: ٣٣

(٢) هو العالم الفقيه الفاضل الأديب الشاعر الشيخ علي ابن الحاج حسن الجشيّ القطيفي ولد سنة ١٢٩٦هـ هاجر إلى العراق وتتلمذ على فضلائها الحذّاق، ثم عاد إلى وطنه بعد أن عب من العلم عبابة له رسالة في التوحيد، أما شعره فكثير وجله في أهل البيت وطبع ديوانه في النجف في مجلدين توفي في الظهران سنة ١٣٧٦هـ ينظر طبقات أعلام الشيعة: ١٣٨٠/٤. ومنتظم الدرّين: ١٠٤/٣.

(٣) البيت في الديوان ٦٥، وينظر: الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ٣ / ص ١٥٢).

ومن الصفات الأخرى التي أطلقها الشعراء على هذا الصحابي صفة قضاء الحوائج نحو قول الشاعر:

أضحى ضريحك قبلة فكأنه

شمس الضحى في فلكها الدوار

لرضا الإله وأنت باب رجائنا

تُقضى بحقّك حاجة الزوار

فالشاعر هنا يصف الضريح وانه أصبح قبلة للزائرين، والسبب أن هذا الضريح تقضى عنده حوائج المؤمنين، ومن هنا يُعتبر هذا الشعر مدرسة مهمة في حفظ التاريخ والحوادث بصورها الواقعية[1]، وقد يؤرخها بأجلى أبعادها وأصدق معانيها.

ومن مميزاته التي لا تنكر كونه عاملاً مساعداً في تفجير العواطف النفسية واستمالة القلوب والضمائر، والانشداد التام فيجعل من السامع كأنّما يعيش الواقعة تماماً وكأنه يراها أمام عينيه، وما ذلك إلاّ لاشتماله على المؤثرات النفسية التي يتميز بها عن غيره.

المبحث الثاني

الدراسة الفنيّة

١- الصورة الفنيّة:

الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستعملا طاقات اللغة وإمكاناتها في التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية، لذلك يتصل الحديث عن الصورة الشعريّة ببناء العبارة[2].

ويلاحظ الدارس لشعر رثاء ميثم التمار(رضي الله عنه) وجود أشكال متعددة من الصور الفنية كلها مستوحاة من الجهاد والمعاناة التي مر بها من ذلك قول الشاعر هادي كاشف الغطاء:

مستقبلاً رماحهُم بصدرهِ

وبيضهُم بوجههِ ونَحرهِ[3]

لقد رسم الشاعر هنا صورة هذا البطل وهو يستقبل الرماح بصدره كناية عن شجاعته وقوته وثباته على الدين الحنيف، مما يعكس رغبة المرثي بالشهادة لأنها توصل صاحبها إلى ارفع وأسمى الدرجات ويستعمل الشاعر صيغة الجمع ليدلل على كثرة الأعداء نسبة إلى شخص واحد، مما يزيد من شجاعته وشدة باسه وعدم هيبته من الموت، وهو يذكرنا بقول المعصوم(عليه السلام) الموت لنا عادة و كرامتنا من الله الشهادة.

اما الشاعر على الجشي فقد صور المرثي في قوله:

عليك شرح ذي الخطر

ميثم غواص الدرر

فالصحابي الجليل هنا يشبه الغواص، أو كأنّه غواص لكن أي غواص انه غواص الدرر، الذي يختار أحسنها وهي صورة فيها إشارة إلى الحكمة التي كان يتمتع بها ميثم التمار(رضي الله عنه).

أما الشاعر مهند الموسوي فقد صور المرثي بأنه نجمة في قوله:

زعم البغاة بان ذكرك آفل

يا نجمة عشقت دجى الأسحار

فهو هنا نجمة قد عشقت دجى الأسحار، ويبدو أن الشاعر قد تأثر بأسلافه من الشعراء الذين كرروا هذه الصورة في قصائدهم، فهو يريد أن يقول أن زعم البغاة باطل حول خمول ذكر المرثي، فهو نجمة دائمة الظهور مع الأسحار وهو وقت تعبد وفي ذلك إشارة إلى مدى طاعة ميثم لله وإخلاصه للدين الاسلامي[4].

ويعد أسلوب التشبيه واحدا من الأساليب الفنية التي وظفها الشعراء في بيان الصور الفنية نحو قول الشاعر:

أضحى ضريحك قبلة فكأنه

شمس الضحى في فلكها الدوار

فالشاعر هنا يشبه ضريح المرثي بأنه الشمس ولكن أي شمس!؟ إنها شمس الضحى وهذا زيادة في رسم ملامح الصورة فهو اختار وقت الضحى لان إشعاع الشمس يكون أقوى في الضحى من بقية الأوقات، إلا أن مثل هذا التصوير استعمل كثيرا من قبل الشعراء السابقين، منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا.

٢- لغة الرثاء:

امتاز شعر رثاء الصحابي ميثم التمار(رضي الله عنه) بامتلاكه لغة شعرية لها مفرداتها الخاصة، اذ وظف الشعراء المفردات القرآنية والتي لها مساس بالموروث الديني ومن هذه المفردات نجد (الإله، والرّب، والرسول والنصر والإيمان والأمانة والجزاء والخليل والأئمة والسبط ونهج البلاغة وعيسى والكتاب والجنان... الخ)، نلاحظ أن هناك حشدا كبيرا من المفردات بعضها مفردات إسلامية وبعضها الآخر لها دلالة ترتبط بالموروث العربي القديم،

(١) تاريخ اليعقوبي - (ج ١ / ص ١٩٤)

(٢) ينظر الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: ٣٩٢.

(٣) البيت في الديوان: ٣٦

(٤) ينظر: من خصائص الأدب الشيعي وميزاته: ٣.

وقد جاء استعمال الشعراء لهذه المفردات بطريقة تعطيها بعدا آخر يتلائم والعصر الذي يعيش فيه الشاعر، ويبدو أن الهدف من وراء ذلك هو الكشف عن شخصية المرثي الدينية وإنها ليست شخصية اعتيادية، إنما هي شخصية لها ثقل ديني، مما اكسبها مهابة في نفوس المؤمنين من أتباع أهل البيت(عليهم السلام) انظر إلى قول الشاعر وتوسله إلى الله بهذا الصحابي الجليل في قوله:

فبميثم يا ربّ ارحم فاقتي
إنّي عييت وضقت بالأوزار[1]

فهذا البيت يحمل شحنة من الرقة والعاطفة، التي تؤثر في نفس المتلقي نتيجة استعمال لغة فيها مفردات تحمل دلالة عالية كونها مفردات مستوحاة من النص القرآني نحو كلمة (الفاقة) و(الرب) و(الأوزار).

ويلاحظ على لغة شعر رثاء الصحابي ميثم التمار(رضي الله عنه) قدرة الشعراء على توظيف أسماء الشخصيات الدينية التي صارت رمزا للتضحية والفداء[2] في سبيل إعلاء كلمة الحق ومن هذه الشخصيات شخصية الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) في قول الشاعر:

عندَ الرسول قالَ لسنا نُعذَرُ
إن قُتل السبطُ ونَحنُ نَنظِرُ[3]

واضح هنا كيف أن الشاعر استطاع أن يوظف شخصية النبي ويربطها بحادثة الطف الأليمة، من حيث صلة القرابة بين الاثنين.

ومن الشعراء من استطاع أن يوظف شخصية النبي عيسى(عليه السلام) في قوله:

شابهت عيسى في تقاه ونسكه
فطهرت من درن ومن اكدار

فالمرثى هنا يشبه النبي عيسى(عليه السلام) في التقى والنسك وهي بلا شك صفة من صفات الأنبياء لا ينالها الا ذو حظ عظيم.

وكذلك استحضر الشاعر شخصية الإمام علي(عليه السلام) في قوله:

خليل أحمد النذر
أبي الأئمة الخير[4]

(١) البيت في الديوان: ١٩
(٢) ينظر في ماهية النص الشعري: ١٢٨.
(٣) البيت في الديوان: ١٢، ورد في رجال الكشي: «حدثنا أيوب بن نوح، عن صفوان، عن عاصم ابن حميد، عن ثابت الثقفي، قال: لما مر بميثم ليصلب، قال رجل: يا ميثم لقد كنت عن هذا غنيا، قال: فالتفت إليه ميثم، ثم قال: والله ما نبتت هذه النخلة إلا لي ولا اغتذيتُ إلا لها». (ج/ص١).
(٤) البيت في الديوان: ٣٤

لقد كنى الشاعر هنا عن شخصية الإمام بـ «خليل احمد(صلى الله عليه وآله)» فهو محق لان منزلة الإمام من النبي لا تخفى على أحد وهو القائل: «أنت مني بمنزله هارون من موسى»[5].

ومن الشعراء من استحضر شخصية الإمام الحسين في قوله:

ساءَ الحُسَينَ قتلُهُ وهَدّه
إذ كان خيرَ صاحب أعَدّه[6]

لقد أراد الشاعر في هذا البيت أن يصور فداحة المصاب من خلال تأثر الإمام الحسين(عليه السلام) به، لقد نجح الشاعر في توظيف مشاعر المتلقي تجاه شخصية الإمام(عليه السلام) خدمة لمضمون النص، مما انعكس إيجابا على دلالة النص.

وأخيرا امتاز هذا النوع من الأدب بأنه صدى لعواطف ملتهبة، أخمد الزمان لهيبها أن يظهر، وأطلق الأدب دخانها أن يثور، ففاح كما يفوح النَّدُ حين يحترق، وماء الورد حين يتصعد[7].

إذن أسلوب الرثاء كان يهدف إلى استثارة النفوس وتأليف القلوب، وعطفها نحو قضية أهل البيت(عليهم السلام) وما لاقوه من عذاب على يد الأمويين والعباسيين، لذا اتجه هذا الشعر نحو التفجع على الشهداء ورثائهم.

خاتمة البحث

لاحظ البحث إن رثاء الصحابي ميثم التمار(رضي الله عنه) اختلف عن الرثاء السائد عند بعض الشعراء من قبيل الحديث عن هاجس الخوف من الموت وترقبه، لأننا لا نجد مثل هذه النظرة في رثاء الشعراء لهذه الشخصية العظيمة التي قل نظيرها.

شخص البحث وجود مضمون الحزن في شعر رثاء هذه الشخصية الإسلامية، وأن هذا الحزن مبعثه واقعية ما جرى على هذا الصحابي من ظلم بسبب ولائه المطلق لأهل البيت(عليهم السلام) ومن ثم فان رثاءه رثاء لأهل البيت(عليهم السلام).

صوّر فن الرثاء الآثار الواضحة لنهضة الإمام الحسين(عليه السلام) في مسيرة التاريخ، تلكم الثورات العلوية المتعاقبة التي بدأت من أواخر الحكم الأموي واستمرّت خلال الحكم العبّاسي. وتعدّ هذه الثورات صدىً طبيعياً لنهضة كربلاء المقدسة الدامية. وقد استمر العلَويّون في ثوراتهم وانتفاضاتهم، مُصرّين على أصل أنّ الإمامة والخلافة حقّهم الطبيعي المغتصَب.

(٥) ينظر أصول الكافي: ٢٣٤/٢
(٦) البيت في الديوان: ٢٥
(٧) ينظر من خصائص الأدب الشيعي وميزاته: ٤

مصادر الدراسة:

القران الكريم

١- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، الدكتور عبد القادر القط الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد علي البجاوي دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ

٣- الالتزام في الأدب الإسلامي، محمد بركة، مقال منشور على شبكة الانترنت، موقع نوافذ.

٤- تاريخ اليعقوبي، طبعة ليدن لسنة ١٨٨٣م.

٥- ديوان هادي كاشف الغطاء، الموسوعة الشعرية، الإصدار الثالث، ٢٠٠٣م

٦- ديوان علي الجشي، مطبعة النجف، ١٣٨٣هـ

٧- رجال الكشي، الشيخ محمد بن عمر الكشي، ١٨٨٣

٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد عبد الحميد بن محمد (ت٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الساقية للعلوم، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

٩- طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر في القرن الرابع عشر، الشيخ أغا بزرك الطهراني، دار المرتضى للنشر، مشهد، الطبعة الثانية ١٣٠٣هـ

١٠- في ماهية النص الشعري إطلالة أسلوبية من نافذة التراث النقدي، محمد عبد العظيم، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٩٤م.

١١- الكوثر، الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، الشؤون الدولية.

١٢- منتظم الدرّين في تراجم علماء وأدباء الإحساء والقطيف والبحرين، محمد علي بن احمد بن عباس البحراني، تحقيق: الشيخ ضياء بدر، مؤسسة طيبة لإحياء التراث، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ

١٣- من خصائص الأدب الشيعي، مقال منشور في موقع (يا حسين).